

التغريب الثقافي وأزمة الهوية في الرواية العربية المعاصرة؛ ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه أنموذجا
The Cultural Westernization and Identify Crisis in Contemporary Arabic
Novels; (Ahmed Ibrahim al-Fakih Trilogy as a Model)

د. آمال خوالدي

Amel khouldi¹

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي -تبسة- (الجزائر)

University of Shahid Shikh Larbi Tbessi-Tbessa (Algeria)

khouldi.khouldi.9@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/11/19

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

أفضى احتكاك الروائيين العرب بالحضارة الغربية، وتأثرهم البالغ بها إلى تبنيهم لقيمها الفكرية، والثقافية والاجتماعية ما جعل كتاباتهم حافلة بالدعوة الصريحة والمضمرة لتبني القيم الغربية وإتباع مسارها الحضاري. لتُصور الهوية العربية عبر النص الروائي المعاصر في أوج أزمتها جراء عوائد الزخم الحضاري الغربي الجارف من جهة، وأمام شعور الأنا بالدونية وعقدة النقص من جهة أخرى. في ظل هذا الوضع المتأزم عمل المفكرون العرب على مواجهة هذا المد الفكري معتمدين في ذلك على تشخيص الأسباب والوقوف عند النتائج الناجمة عنه، ليكون الاستغراب الرد الذي فرضته الحاجة أمام التيار الغربي الذي تواجهه الأنا مع تداعيات العولمة. تسعى هذه الورقة البحثية واعتمادا على المنهج البنوي التكويني إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما التغريب وما متركزاته؟، ما أثره على الهوية العربية؟ ما مواطن التغريب في ثلاثية الفقيه؟ الكلمات المفتاحية: تغريب؛ أنا؛ آخر؛ هوية؛ ثلاثية الفقيه.

Abstract:

The profound interaction of Arab novelists with Western civilization and their deep influence by its intellectual, cultural, and social values led them to adopt these principles, filling their writings with both explicit and implicit calls for embracing Western ideals and following its civilizational trajectory. Consequently, Arab identity found itself at the peak of its crisis, caught between the overwhelming momentum of Western civilization on one hand and the self's sense of inferiority and inadequacy on

* آمال خوالدي khouldi.khouldi.9@gmail.com

the other. Amid this critical situation, Arab thinkers sought to confront this intellectual tide by diagnosing its causes and examining its consequences, leading to the emergence of istighrab as a necessary response to the sweeping influence of Westernization, exacerbated by the ramifications of globalization.

This research paper, employing the structuralist-genetic method, aims to answer the following questions: What is Westernization, and what are its foundations? What impact does it have on Arab identity? Why is The Trilogy of the Faqih considering a Westernizing novel? And how does "istighrab" work to expose the intentions of Westernization and thwart its objectives?

Keywords: Westernization, the Self, the Other, Istighrab, The Trilogy of Al- Faqih.



مقدمة:

تطرقت الرواية العربية المعاصرة لعلاقة الأنا بالآخر محاولة كشف خلفياتها ومصورة تفاصيلها الشائكة في الظل الاختلاف الحضاري بينهما من جهة، وتميز الآخر عن الأنا باعتباره الوجهة الحضارية الأكثر تطورا واستقطابا خصوصا بعد عوائد الثورة الصناعية التي ارتقت بحضارة الغرب وجعلت منها وجهة حضارية. وجهة فرضتها السيورة الحضارية والمصلحة المتبادلة بين الحضارتين مع تمايز واضح في كفة القوى ما جعل الآخر يفرض هيمنته وسلطته باعتباره الأقوى اقتصاديا، وسياسيا، وعسكريا. هذا الزخم الحضاري أدى إلى استلاب حضاري عرفه فكر عديد من الأدباء والمفكرين العرب، ما جعل كتاباتهم الفكرية والإبداعية نصوصا تغريبية تحوي دعوة صريحة، أو حتى مضرة للسير خلف الركب الحضاري الغربي متجاهلين أصولهم العربية الإسلامية، وكل اتصال لهم بالتراث العربي العريق، الأمر الذي تطلب ردا منطقيا تمثل في حملات الاستغراب التي تبناها مفكرون عرب حملوا على عاتقهم مهمة دراسة الحضارة الغربية للحد من أثرها. ليكون الاستغراب مطلبا فرضه نتاج التأثير بالآخر، إلا أنه وللأسف فشل في مهمته الدفاعية وتحول هو الآخر إلى أداة دعائية تروج للحضارة الغربية وتعمل على استمرارية زحفها.

إن دراسة التغريب الثقافي وما يحدثه داخل الثقافة العربية من خلل جراء نقل النموذج الحضاري الغربي - بفكره وقيمه وأنماط عيشه ولغته وتعاييره - ، وعوائده على الهوية العربية تجعلنا نجد في الرواية العربية المعاصرة مجالا أوسع لفهم أعمق لدينامية التفاعل بين "الأنا" و"الآخر"، وللכيفية التي صاغ بها الأدب العربي المعاصر خطابا يتأرجح بين الرفض والتبني، بين التمرد والانصهار، في محاولة لصياغة هوية سردية أصيلة قادرة على الحوار دون انحناء.

الأمر الذي تطلب من الباحثين والناقدین في مجال الأدب الكشف عن مواطن الترويج المسوقة للحضارة الغربية عبر النصوص الروائية، لذلك جاء بحثنا المعنون ب: "التغريب الثقافي وأزمة الهوية في الرواية العربية المعاصرة

(ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه أنموذجا) لمعالجة أثر التغريب على الثقافة العربية وإلى ضرورة الوقوف بوعي كامل للحد من هذا الزحف الحضاري الذي نخر كيان الأمة العربية وثوابتها.

وبهذا تسعى هذه الورقة البحثية واعتمادا على المنهج البنوي التكويني إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما التغريب وما مركزاته؟ ما أثره على الهوية العربية؟ إلى أي مدى يمكننا الجزم أن ثلاثية الفقيه رواية تغريبية؟ ما أثر مثل هذه النماذج الروائية على الوعي العربي؟

أولا: في ماهية التغريب .

التغريب هو السعي إلى إخضاع مجتمع ما لهيمنة النموذج الثقافي الغربي في الفكر والسلوك والقيم ، على نحو يفضي إلى إضعاف هويته الخاصة، واستبدال مرجعيته الثقافية بمرجعية مستوردة ، وذلك عبر التأثير الثقافي والإعلامي، والتربوي حتى يحدث تغيير تدريجي في الهوية الجماعية، ما يؤدي إلى تراجع الذات الثقافية المحلية وتراجع لثقافته الأصلية. هذا المسعى ينشأ عادة عن استلاب حضاري عاشته جامعة معينة عرفت الآخر واحتكت به وصارت ترى فيه نموذج الحضارة وقودتها.

أما علم الاستغراب فهو مشروع معرفي يهدف إلى دراسة الحضارة الغربية دراسة نقدية خارج منظومتها الثقافية من أجل فهم : أفكارها، وفلسفتها، وقيمتها، وبنائها الثقافية والاجتماعية من منظور غير غربي. يعد هذا العلم نظيرا نقديا لعلم الاستشراق؛ فكما درس المستشرقون الشرق من زواياهم، يسعى علم الاستغراب إلى فهم الغرب وتحليل أسسه المعرفية وتفكيك مسلماتهم من داخل مرجعيتنا الثقافية. وبذلك يكون التغريب ظاهرة ناتجة عن التأثير الغربي، في حين أن علم الاستغراب هو محاولة واعية لفهم هذا التأثير وتحليل مصدره وبنياته.

إلا أن سعي المفكرين والباحثين إلى تقديس أفكار الغرب والسعي إليها وأخذها على أنها منارة الحضارة التي يجب الاقتداء بها، فالآخر هنا له من القداسة ما يجعل المستغرب لا يرى طريقا إلى الحضارة إلا هو بل ويتعدى الأمر إلى الإيمان بالنزعة المادية، ورفع عوالم الغيب والنصوص الشرعية واستبدالها بالفروض العلمية المادية التجريبية ، منكرين بذلك وجود الذات الإلهية لعدم قابلية خضوعها للتجربة¹ ، هذا وقد ذهب العديد من المفكرين على رأسهم حسن حنفي أن الجدوى من علم الاستغراب هو تسليط الضوء على الحضارة الغربية والنهل من علومها وتطورها، لا السعي خلف قشورها وقد لوحظ أن أغلب الكتابات الاستغرابية لم تستوعب المهمة الموكلة لها، والتي كان الهدف من وراءها التحذير من الغرب وسياسته التوسعية عبر زحفه الثقافي، فالهدف من الاستغراب التعريف بالآخر وثقافته من باب المتابعة البناءة التي تفرضها حركة التطور الحضاري، والعمل على إزالة العقدة الاستعمارية الحائلة دون الاستفادة من حضارة الآخر، والعمل على القضاء على عقدة النقص التي تعيشها الأنا لعقود من خلال تجاوز الثقافة السطحية العشوائية إلى متانة منظمة عميقة ومدروسة.

ثانيا: الآخر من منظور الأنا في الثقافة العربية

نجد بعض المفكرين العرب يحذرون من عوائد الاحتكاك بالحضارة الغربية، وما تجره من عواقب على الثقافة العربية -خاصة- الموجة الداعية إلى محاكاة الغرب والسير خلف بريقه دون مراعاة للخصوصية الدينية والثقافية، والحضارية

باعتباره المركز الحضاري الذي أضاء نجمه منذ قرون، إذ يرون أن "الخيار التغريبي لم يستطع أن يقدم لواقعنا خطابا موضوعيا، وإيجابيا، وتقديا حول الغرب في تجربته الحضارية كما نحتاجها نحن لمجتمعاتنا في مرحلتنا التاريخية التي نمر بها... ولم تستطع هذه الخطابات التقدم بهذه المهمة بسبب الانهيار والتحيز وفقدان الثقة بالذات والدفاع عن الغرب"² بل ويجدون في الخطابات الفكرية والأدبية الداعية إلى التغريب، أداة عرقلة فكرية تحدد طريق صناعة نهضة حضارية خاصة، بعيدة عن القلب الغربي المسطر. هذا ونجد المفكر الجزائري مالك بن نبي يعطي التغريب ملمحا آخر إذ يطلق عليه مسمى "القابلية للاستعمار" لكونه ارتقاء في حضارة الآخر، وانفصالا مشروطا عن المقومات الأصيلة التي لا يمكن أن تتجمع مع الواقع الجديد.

يذهب البعض الآخر إلى ضرورة التمعن، والاقتداء بالغرب في طريقة استفادته من الشرق عبر استحضار تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، التي كانت تعتلي سلم الحضارة في أزهى عصورها، إذ لم نجد من الغرب حينذاك ذوبانا وتقليدا وانسلاخا، بل على العكس من ذلك أخذوا من ثقافتنا وعلومنا ما يساعدهم على التقدم والازدهار في شتى المجالات، ليكون انبهار الأنا وتقليدها الأعمى للآخر المختلف ليس سوى أحد أمراض الحضارة التي وجب الاحتياط منها. لذلك فإن رفض الافتتاح والاحتكاك بالآخر بحجة مواجهة المد الثقافي لا تكون عبر معاداة ثقافة الغرب والتفوق على الذات، بل الأجدر والأففع أن يكون عبر التفاعل مع ثقافة الآخر، والاحتكاك بشخصه، والتواصل معه للاستفادة من تجاربه وخبراته، مع إعلاء قيمة وجوهر ثقافتنا العربية الإسلامية، وهو الأمر الذي نادى به عديد الأدباء والمفكرين العرب مع اختلاف ايدولوجية كل واحد منهم.

يذهب المفكر المصري (سلامة موسى) وهو أحد دعاة النهضة الفكرية الحديثة أن "تقارب الثقافات يخصها كما لو كانت جسما حيا يتلاقح مع جسم حي أجنبي، فتخرج منه السلالات الجديدة. ثم على مدى التطور تظهر الأنوار الجديدة"³ ف (سلامة موسى) يرى في (أوروبا) حاملة لواء النهضة، وأنها وحدها القادرة على نقل شرارتها للوطن العربي، بحكم تقارب الموقع الجغرافي للحضارتين، كما ذم انتساب الدول العربية إلى الدولة العثمانية التي لم تحسن تسيير شؤون الدول، والتي انتهت علاقتها بها إلى وقوع معضمتها تحت طائلة الاستعمار. هذا وقد صنف المفكرون فكر سلامة موسى بالفكر التغريبي؛ لأنه وإن حاول تأكيد ضرورة الافتتاح على الآخر لكونه قائد النهضة المعاصرة، فالرجل لم يتوانى وفي أحيان كثيرة من تقزيم الأنا وإنكار انجازاتها الحضارية.

من هذا نصل إلى أن التيار الإصلاحي -في عمومهِ- داخل الوطن العربي لم يكن يرغب في أن تُستنسخ الحضارة الغربية في الوطن العربي، ولكنه رأى أن تميز الحضارة الغربية كان نتاج مجهود عقلي وعمل دؤوب، وأنه بمقدور الحضارة العربية السير على خطاه مع الحفاظ على المرجعية الأخلاقية، والحضارية، والتي في الأساس تمثل جوهر الثقافة العربية الإسلامية.

ثالثا: مواطن التغريب الثقافي في ثلاثية الفقيه:

استدعى أحمد إبراهيم الفقيه في ثلاثيته "سأهيك مدينته أخرى" النموذج الغربي فكريا وأدبيا، فالفقيه وعبر مستوى البنية السرديّة اعتمد على تقنيات الرواية الغربية الحديثة، كالقطيع الزمني، وتعدد الأصوات، وتيار الوعي، التي تظهر بشكل أكبر في الرواية الأوروبية عند كل من جيمس جويس، وفوكنر. أما من الناحية الفكرية فقد عرفت الثلاثية

حضورا واضحا للقلق الإنساني، والاقتراب الوجودي الذي يعاينه البطل ما يعكس تأثره بالفلسفة الوجودية هذا، وقد عمد الفقيه إلى قراءة الواقع الليبي برؤية غربية بإسقاط مفاهيم هي في الأساس نتاج احتكاكه بالفكر الغربي، كالحرية الفردية في مواجهة السلطة. التغريب الثقافي في ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه هو توظيف إجرائي وموضوعي يعكس التفاعل التقدي للروائي مع الثقافة الغربية.

نجد الثلاثية وتحديدًا في جزئها الأول تقف عند الاستعداد النفسي للبطل (خليل إمام) للانفتاح على الآخر، ومدّ أواصر الحوار معه، فمع أول نسائم التحرر الغربي خلع "خليل" عباءة "عروبته مرتديا بعدها ألوان حضارة الغرب شكلا ومضمونا. ليصف الروائي حال البطل في عوالم الغرب، وهو يؤكد أن ما حدث مع خليل هو حال فئة كبيرة من المثقفين العرب الذين قصدوا الغرب وذاقوا في ثقافته، هذا بعد إصرار كبير منهم على بلوغ ديار الغرب، ذلك العالم الخارق الذي زينته كتب الغرب، وقنواتها التلفزيونية، وعملت العملة على جعله قبلة العالم، ومقصد طلاب العلم، والثروة في الآن نفسه. كانت البداية حسية إذ تخلص البطل من لباسه الشرقي وارتدى الزي الغربي كما غير تسريحة شعره التي وأكبت حسبه موضة العصر، الأمر الذي أعطاه ارتياحا نفسيا كبيرا لاسيما بعد أن أصبح من الصعب على الجميع نعتة بالغريب لكونه صار غربي الشكل واللسان.

تشير الرواية إلى الإقبال الكبير للعرب على الدول الغربية وخاصة بريطانيا، والسعي للحصول على الجنسية الغربية لهم ولأبنائهم "سألني ليندا ونحن نعود إلى الفندق عن سر كثرة النساء الحوامل فقلت لها: إنه دليل إعجاب ببلادكم، فكل هؤلاء العرب يتبارون في تقديم شهادة ميلاد انجليزية لأبنائهم، علما تكون حرزا ضد عوادي الزمن العربية"⁴. وهي ظاهرة تعرفها البلدان العربية على أرض الواقع، وهذا لكون البلدان المتقدمة تمنح جنسيتها لكل من يولد على أرضها، ناهيك عن امتيازات كثيرة تضمنها لكل من يحمل جنسيتها. ما جعل المغتربين العرب يسعون لأن يولد أبنائهم هناك طمعا في الحصول على تلك الامتيازات التي تقدم لهم. وما توظيف الفقيه لهذه الحادثة ضمن المتن الروائي إلا استحضار وتعبير عن نظرة برغماتية يحملها المغترب الذي يجد في هجرته مهربا من قسوة واقع سياسي أو اقتصادي مأزوم فُرض عليه في بلده. ليهاجر إلى الصفة الأخرى بحثا عن حياة كريمة.

تشير الرواية بقوة إلى سعي خليل إمام أثناء وصوله اسكتلندا لإقامة علاقات مع المرأة الغربية، التي يرى فيها رمزا للتحضّر والمدنية وجسرا حضاريا يُدنيه من الآخر منزلة ووقيا. بل وقد كان حضور المرأة بارزا في أجزاءها الثلاثة، ما جعل الثلاثية تصنف ضمن الروايات الحضارية الطرايشية المنحى، والتي تجد في الأنثى الغربية جسرا لركوب الحضارة، وطريقا للانصهار داخل المجتمع الغربي بسلاسة باعتباره عالم رقي حضاري متميز. يجد المغترب في اتصاله بالمرأة الآخر دفئا يدفع عنه شبح الوحشة والاعتراب، ويرى في المرأة العربية رمزا للرجعية والتخلف، وهو ما حاول البطل تأكيده عبر سطور السرد الروائي، فعلاقة البطل وميله للأنثى الغربية انطلاقا من الرواية كان بدافع البحث عن السكن الذي لا يتحقق إلا معها وبوجودها؛ لأن لها القدرة على ملء وحشة الصحراء القابعة داخله، فاتصاله بها يتجاوز كل المواقف الأخلاقية والفكرية والفلسفية لأنه؛ "احتياج إنساني تصبح معه المرأة شرطا أساسيا لتحقيق العافية النفسية والجسدية".⁵ وسيلة للتخلص من الوحدة والكتابة التي تطارد المغترب البعيد عن الأهل، فالترحيل عن الوطن يجعل الفرد في حاجة

لسكن من نوع آخر سكن الرقعة التي تجسدها الزوجة في الشرائع السّاوية، ولكن البطل يخص الجنس الأنثوي بالحاجة دون شرط نوع الرابط الذي يجمعه بها، اقتداءً بالافتتاح الغربي الذي يعلي حسبه الحرية الشخصية. ينشأ عن تفاعل الأنا مع الآخر تداخل ثقافي يصعب التّكر له حيث يقدم كل طرف ما لديه من موروثات ثقافية، وآتي تظهر في الواقع من خلال الأحداث والظروف التي تستدعيها، فيبدي كل طرف موقفه أو تصرفه الذي يعكس تركيبته الفكرية والثقافية، وعبر الملاحظة العينية يصبح الانتقاء والتقليد والتبني موقف الآخر والعكس صحيح. لتكون المثاقفة عنوان هذا الاحتكاك الذي يجمع الشرق بالغرب فاللقاء الحضاري في ثلاثية الفقيه جمع بين المثقف العربي ممثلا في (خليل وصديقه عدنان)، والمرأة الغربية ممثلة في (ليندا، ساندرا، وزوجة عدنان وغيرهن من طالبات جامعة أدمبرا)، وتجدر الإشارة أن كل الأسماء السابقة الذكر تنتمي إلى الفئة المثقفة، وهو تقاطع آخر للثلاثية مع رؤيا جورج طرابيشي للعلاقة بين الشرق والغرب فالمثقف العربي حسب "لن يرى، وهو في محراب هيكل الثقافة إلا المرأة"⁶، ولكون المرأة عنصرا فاعلا في المجتمع فهي تسعى لنقل حملتها الثقافية إلى الزوج والأبناء، وإلى المجتمع ككل ما يجعل احتكاك المغترب العربي يقف أمام صاحب ثقافي قوي يجعل منه تابعا ومنقادا إلى تبني الفكر الغربي بوعي أو دونه، وهنا تتجلى أزمة الهوية وأزمة الانتماء التاجمة عن الارتقاء اللاواعي في حضارة الآخر.

نجد أن نظرة البطل خليل إمام نحو الآخر الغربي في الثلاثية، تختلف تماما عن موقف بطل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" نحو الآخر، هذا الأخير عكس الحقد الدفين الذي حمله العربي للغرب جراء حملات تاريخية نسجت بخيوط الكره والرغبة في الانتقام من الآخر عقب فترة استعمارية مريرة، فكانت المرأة هدفا للانتقام الحضاري وإلحاق الأذى بها كان انتقام "أنا" جريجة. في حين نجد الثلاثية على خلاف ذلك ترى في اتصال الرجل الشرقي بالمرأة الغربية أحد أشكال اللقاء الحضاري المعبرة عن الألفة بين البشر، وتجعل من عاطفة الحب عنوانا يعتلي صفحة هذا اللقاء، ويلغى الحواجز الجغرافية، والفكرية، والثقافية بينها بل ويسعى إلى تعزيز أواصر المثاقفة والغوص أكثر في أحضان الآخر بشتى السبل. لا يستطيع أي باحث أن ينكر أن التأثير في ثقافة الغرب أيضا أمر واقع، فقد عُرف عن الفن أنه سفير الحضارات بلا منازع، ونقطة التقاء وتواصل حضاري بين الشعوب، فالموسيقى والرقص، والمسرح، وكذلك الأدب تعد مؤثرا ثقافيا يعبر عن الهوية من جهة، وفي الوقت نفسه يؤثر في الآخر، وفكره ورؤيته للأنا. إن الأدب يعتبر بطاقة تعريف حضارية لأي حضارة إنسانية لكونه يعمل على تصوير واقع الإنسان وفلسفته، وفكره، وثقافته، وعمرانه. ألخ "ولعل البحوث المستفيضة وحدها هي التي تستطيع أن تجزم بأن الشرارة الحضارية الأولى كانت للأدب وأن زيت الحضارات ومشكاتها عبر الأجيال والعصور هو الأدب الحضاري"⁷ لقد برز دور الأدب كفاعل حضاري في ثلاثية الفقيه عبر الأدب العالمي المتمثل في قصة ألف ليلة وليلة، التي تروي مغامرات وحكايات عن عوالم الشرق بأساطيرها وغرائبها، لتكون لسانا حضاريا ناطقا يسمح لكل من يقرأه أن يأخذ فكرة عن الحياة الشرقية. فخليل إمام الذي يُعد أطروحة الدكتوراه خاصته عن (الجنس والعنف) في ألف ليلة وليلة. جعله يقدم صورة عن هذا العمل الإبداعي العربي، ويعرف به في عوالم الغرب، بل ويجعل منه تعريفا إضافيا لشخصه "هل قال لك أن يكتب رسالته عن ألف ليلة وليلة، وهو لا يكتبها عن سندباد والبساط السحري، وإنما عن العنف والجنس في هذه الأسطورة."⁸ فخليل يدرك قيمة الأدب العالمي ويدرك إطلاع الآخر ولو بالشيء اليسير عليه، ما جعله يعرف نفسه بموضوع بحثه وعنوانه اللافت للنظر، كما لا ينكر الغرب

اهتمامه بالدراسات الشرقية وتشجيع الطلبة العرب على البحث في تراثهم بلغته؛ لأنهم ببساطة يوفرون مادة جاهزة عن الشرق ما يسهل دراساتهم الاستشراقية، وفهمهم للفكر العربي، وهذا أمر مشروع وإيجابي في حين يمكن الخلل في الاستلاب الذي تعيشه الآن، وعجزها عن الحفاظ على هويتها وانتائها.

رابعا: التغريب وأزمة الهوية في الثلاثية

كان احتكاك البطل ومن خلفه السارد بالمجتمع الغربي كفيلا بإحداث خلل في هويته الثقافية، فقد أصبح عاجزا عن تقبل ماضيه العربي بكل قيوده والتزاماته الدينية والاجتماعية، لقد أدرك البطل أن حكايات ألف ليلة وليلة بقيت حبسية صفحات بحثه، وأن الواقع الذي ينتمي إليه بعيد كل البعد عنها، كان في خلوته مع نفسه يمقت مجتمعه ويمقت قيوده، ويقر بأنه قصد بلاد الغرب هربا منها "كنت أعرف أن القرون الوسطى ما تزال تمارس قمعها الجنسي في تلك المجتمعات الشرقية التي جئت هاربا منها"⁹، لم يكن البطل ينظر بعين الرضا لنفسه ولا لميراث مجتمعه الذي يحمله معه، والذي يسعى بكل الطرق التخلص منه والاعتناق من سطوته "وأفتش عما تبقى من هذا الميراث في وعي ولا وعي الرجل الذي خلع أغطيته البدوية وتخلّى عن خيمته، وشياحه ونياقه وأكثرى مقعدا في طائرة تحط به في أكثر مناطق العالم تحررا واعتقا من سطوة القرون الوسطى."¹⁰ ومن هنا يظهر الوجه الآخر لأزمة الهوية عند البطل الإشكالي في ثلاثية الفقيه.

يعيش البطل بعيدا عن كل الالتزامات التي من شأنها أن تعزز انتماء لهوية جماعية تحيا أركانها داخله، فعالم الغرب قد سلبه ذكريات الأهل والوطن، وصار رجلا بلا انتماء "نامت في خاطري ذكرى الأهل والوطن فلم أوقفها"¹¹ يدرك خليل أن هناك شيئا ما يربطه بوطنه وقومه، شريط من الذكريات التي كان يستحضرها عن طفولته ووالده، وعن حياة الفقر التي كان يعيشها، عن معلم الكتّاب وقسوته وتعنيفه له، عن قيود المجتمع وأعرافه، كلها أمور كان يجعل منها دافعا لقطع صلته بالماضي ومحاولة نسيانه. فقد صار يرى في شمس بلاده حجما وفي بيوتها علب اسمنت تسجن داخلها الأرواح قبل الأجساد.

بعد عودة البطل للديار ومحاولته الجادة تجديد انتمائه لأهله ووطنه كفرد صالح وأستاذ جامعي مرموق، يفشل فشلا ذريعا في التواصل مع أقاربه وزملائه في العمل، فمشاعر الانتماء التي كان يحفظها الوطن وتوطدها اللغة، وترينها العادات والتقاليد، لترسم بها فسيفساء الهوية كلها انقضت وحل محلها شعور بالاغتراب ولا انتماء، فالهوية الجماعية عند البطل اندثرت رغم محاولات إحيائها "أراهم فلا أرى إلا جزءا من الفراغ الذي يغلف الكون، وأسمع كلامهم فلا أسمع إلا ضجيجا لا أفهمه ولا أتواصل معه.. إني فعلا لا أعيش معهم."¹² لم يبق التنكر والرفض للمجتمع حبيس النفس؛ لأن كل من عرف خليل أدرك أنه يعيش خارج السرب الذي يجمعه بهم.

تظهر الهوية العربية الإسلامية بصورة أقوى في شخصية "عدنان" بإقامته الطويلة باسكتلندا لم تنقص من عزيمته واعتزازه بعروبته ودينه، ولا في نشاطاته المتعددة في الأندية الطلابية العربية، بلبس الكوفية الفلسطينية، يحمل رايات تحررية وصور جيفارا ومونديلا وفي الوقت ذاته هو نجم ليالي الغناء والعزف التي تنظمها الجالية العربية بالجامعة، وعضو فاعل بالمكتب التنفيذي للطلاب العرب.¹³ فالفقيه عبر شخصية عدنان قدم صورة النقيض لشخصية البطل لغاية التركيز على هذه النقطة الجوهر في حياة المغترب المثقف، ليبرهن أن التنكر للهوية منوط بالمحاولات الفكرية والثقافية لكل فرد دون غيره، وليست فرضا يساق إليه كل مغترب.

مثل عدنان في الثلاثية صورة الرجل العربي الغيور على هويته، وقوميته فنشاطه الدءوب على تمثيل الأنا بكل حمولاتها الثقافية داخل حضارة الآخر، وعدم انجرافه أمام غوايته وملذات الدنيا المعروضة. لكون عدنان يحمل رسالة مثقف حقيقي غيور على شرفه، وأتمه، وعرويته، وما يقوم به من نشاطات، وتظاهرات تعكس ولاءه للقضايا الإنسانية العادلة في كل العالم، ما يجعل البطل يندهش أمام تلك الطاقة الكبرى التي يحملها الرجل ونجده يقرّ أن كلّ هذا الالتزام والاندفاع لا يجتمعان إلا في شخص عدنان.

ينظر عدنان إلى نشاطاته التحررية العادلة ولغيرته على عرويته، ودينه، ووطنه نظرة الواجب، ويجد في سلوك خليل نكسة وركودا وتهلونا عظيما في أداء واجبه كعربي، بل وينظر لرفضه تبني أيّ فكر بناء فاعل في المجتمع، وعن تحاذله في الدفاع عن قضايا أمته أمرا مخزيا. فكثيرا ما كان ينقل له استياء الطلاب العرب لغيابه عن اجتماعاتهم، لكن الأمر لم يكن يغير في قناعات خليل أي شيء. "أعدنا إحياء جامعية أصدقاء القضايا العربية، وكنت أريدك أن تكون معنا. من العار أن تمتلئ القاعة بالاسكتلنديين ويختفي العرب"¹⁴ فعنان يرى في سلوك خليل وتحاذله سلبية، وانحماض حضاريا.

يشير عبد العزيز حمودة لخطورة الانحماض الحضاري جراء الاندماج المؤسس والمدرّوس من قبل الغرب لأغراض يعرفها العام والخاص، والتي يقابلها للأسف تهاون واستسلام عربي للتصدي لهذا المدّ الحضاري، فالمثقف العربي يجد نفسه تائها تتقاذفه أمواج الحضارة الغربية بعد أن قطعت أوصله العربية بوحي منه ورغبة كما هو شأن المثقف الثلاثية الذي تنكر لهويته وأعلن لجوءه للآخر.

إن ما يعانيه البطل من شرح هوياتي يرجع لتعكر علاقته بالمحيط القادم منه، وهو ما تصرّح به الرواية من خلال ذكريات البطل لحياته بليبيا قبل سفره لاسكتلندا. ولعله حال عديد المثقفين الذين يقصدون بلاد الغرب دون إعداد وتهئية مسبقة لذلك ف "الشّرخ الذي يعيشه المثقف العربي أو القّصام الذي يتهدده كل يوم يرجع إلى غياب المشروع الثقافي القومي أو العربي"¹⁵ الذي كان ينبغي أن يبنّي أصول الانتماء العربي والإسلامي في أفرادهم منذ نعومة أظفارهم، بسبل حضارية تضمن تشكل وحدة عربية إسلامية ملتزمة، لها القدرة على الصمود أمام أيّ مدّ حضاري أو استعماري من شأنه أن يهدد لمة الأنا واستقرارها، أما ما وصلنا إليه في علاقتنا بالغرب فيعدّ منحا خطيرا، وهذا لانتقالنا عن التعلم من حضارته إلى الاندماج فيها، الأمر الذي يوجب بالانحماض.

كان لأزمة الهوية والاعتزّاب الثقافي أثر واضح في حياة البطل الذي لم يتمكن من جديد في الاندماج ضمن المجتمع الليبي المحافظ، فرغم محاولاته الكثيرة في إعادة ربط جسور الانتماء التي قطعها في الغرب إلا أنّها باءت بالفشل. ما قاده للعزلة والانطواء ومحاولة الانتحار دون وعي منه في بداية الأمر، ويتطور الأمر للأسوء مع نهاية الرواية حيث يصبح البطل عنيفا ناقما على المجتمع وسلطته، التي وقفت حاجزا أمام رغباته ليصل في لحظة انقلاط نفسي لمحاولة الاعتداء على شرف خطيبته سناء أياما قبيل زفافها له "إن فقدان الهوية أيّ الاعتزّاب قد يؤدي إلى ردّي فعل متضادين مثل العزلة والانطواء أو الانتشار والعنف"¹⁶ لقد كان العنف ختام الثلاثية وكان الفشل عنوان حياة بطل الفقيه الذي استعجل زواجه قبل أوانه فعوقب بحرمانه.

لا يختلف اثنان من أن البطل يعاني من استلاب حضاري، وأزمة هوية كانت نتيجة انهياره بثقافة الغرب وعوالمه، وهي إحدى أبرز أزمت احتكاك الأنا الشرقي بالآخر الغربي فإما أن يتمسك الأنا بخصوصيته الثقافية ليضمن بذلك استقرارا تضمنه الهوية الجماعية، وإما أن ينحرف ضمن المد الغربي شأن بطل الثلاثية، فبين أصولي يرفض الحداثة وافتتاحها، وبين حدائي يتنكر للتراث ويرتقي في حضن الآخر، تكمن أزمة الفرد والمجتمع العربي. وهو ما أشار إليه موسى بن ساعين حين لخص أزمة الهوية الثقافية عند العرب "إذا كان خطأ الأصولية التناكر لكل جديد فإن خطأ التحديثين هو الإسراف في التناكر للقيم الثقافية الخاصة، وإذا كان الأصوليون قد وقعوا في فخ الاستلاب للتراث فإن التحديثيين قد وقعوا في فخ الاستلاب للثقافة الغربية"¹⁷ هذا ويبقى المثقف العربي يعاني الشتات والحيرة بين أصالة ترفض الجديد، وبين معاصرة تلغي انتماء الذات وترمي بها في عوالم تمنها وتخشها في الآن نفسه.

خامسا: رؤيا العالم في ثلاثية الفقيه

1. الرؤية المأساوية:

لا تقتصر دراستنا للرواية في الكشف عن " دور رؤيا الكاتب للعالم فحسب بل دور نظرة أبطاله، الذين يعرضهم في أعماله للعالم "¹⁸ هذه الرؤى وإن تشابهت في كثير من الأحيان ورؤيا الروائي إلا أن بعضها الآخر كان كافيا لعرض الرؤى المعاكسة له، ما حقق صراعا داخليا ومجالا للجدل أضفى حيوية على النص الروائي وفتح المجال أمام كل طرف كي يدافع عن أفكاره بكل أريحية.

تمثل الرؤيا المأساوية في الوضعية المزرية التي وصل إليها البطل جراء الصدمة الحضارية المعاكسة ما جعله يعيش حالة اضطراب نفسي جعلته يعيش حالة من الهستيريا، ويشعره من حوله بانفصاله التام عنهم "كأنك لا تعيش معنا"¹⁹ عبارة يسمعها البطل من المحيطين به كل يوم، فخليل الإمام أصبح شخصا تهاجمه الوسوس والأصوات الغريبة التي تضج مقعده وتؤرق نومه. صار يعيش العزلة التامة ويفضل الخروج بسيارته بعيدا عن ضوضاء المدينة الحارقة، التي صار جوها وأهلها يشعرانه بالاختناق، أصبح خليل يعيش حالة من البؤس والحسرة لأن مدينة طرابلس عاجزة عن تقديم ولائم التحرر والاعتناق كما تفعل مدن الغرب التي ألفها طيلة رحلته الدراسية باسكتلندا، والتي جعلته يتعلق بها ويأبى الاندماج في مجتمعه من جديد، فرغم محاولاته الكثيرة الانصياع لأوامر المجتمع إلا أنه كان يحظى بالفشل، ويدخل حالة من الكآبة والحزن ولوم النفس على الجهود، والتضحيات التي كان يقدمها قربانا لاندماجه من جديد بعد أن صرح البطل بأعلان انهزامه ورضوخه لسلطة مجتمعه على مضض.

يعيش خليل حالة من الانطواء والعزلة عن مجتمعه فحتى تبادل الزيارات العائلية صار أمرا يقوم به إرضاء للواجب الاجتماعي، هذه الرؤيا المأساوية للكون لم تشكل في حياة البطل مباشرة بعد العودة من اسكتلندا بل كان لها امتداد عميق في حياة البطل منذ شبابه فقد حاول معتمدا على كتبه ومكتسباته إعادة صياغة العالم من جديد وبنائه وفق ما يراه مناسباً. أراد تجسيد وعيه الممكن وصياغة عالم جديد بايدولوجيا جديدة من أجل تحقيق عالم يضمن له فضاء بلا قيد، تغرقه المذات والشهوات عالم لا يخضع للأعراف البالية ولا للشرائع المسيطرة.

أراد بطل الفقيه أن يصنع عالما بديلا يضمن سعادة المجتمع ككل، لكنه يصطدم بواقع أقوى منه فيعلن فشله وتبدأ مأساته. " حاولت أنا أيضا إعادة صياغته.. تنازلت مثل نبي لم يجد من يؤمن برسالته، ورضيت بهزيمتي "²⁰ ويقر خليل

بالبأس الذي عاشه فترة شبابه داخل بلده جراء قيود المجتمع وأعرافه وسلطته وضوابطه الأخلاقية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، والتي يتنكر البطل لها ويعلن القطيعة معها. ومع إعلان انهزامه لم يجد سبيلا آخر إلا العودة إلى البُرب الذي انشق عنه وكله أسى وحسرة. "عدت مسرعا إلى صفوف الداهيين إلى المعبد، ممن أنكرت عليهم دينهم، أنضم إليهم وأعبد ما يعبدون"²¹، ويشبه خليل السلطنة الاجتماعية بالسلطة الدينية لما لها من قوة وسيطرة على النفوس. كان سفر البطل إلى مدينة عقد المرجان لحظة صفاء للذات لتجد عبرها فسحة لتحقيق المرغوب المحظور، إلا أن حيزها الزمني غير الممتد أعاد البطل حالته المساوية التي كان عليها من قبل، يندب البطل العادة والروتين لكونه يفضل رحلة البحث عن المغامرة والمتعة خارج كل الأطر التنظيمية والسلطة الردعية لأي مؤسسة كانت. "سأواجه الحياة كما واجه آدم الحياة عندما وجد نفسه ملقًا في الخلاء مطرودا من بساتين الله خارجا من الزمن المطلق.. داخل زمن الأرض والخطيئة"²² فالرؤيا المساوية عند خليل إمام ترتبط ارتباطا وثيقا بالزمان والمكان الذي يحياها البطل داخل مجتمعه الليبي الذي وجد نفسه مكبلا داخله بعد أن اعتاد الحرية المطلقة في مكان آخر وزمان قد مضى وسط أناس، وإن كان اختلافاً عنه واضحا إلا أن ارتباطه الوجداني به لا ينكره أحد.

تتجلى الرؤيا المساوية أيضا في تلك المرات التي عاشها البطل أمام كبح رغباته فتجمد الزمن جوارها وتوقفت حركته، ليبقى حبيس عالم الحرمان ساخطا على القيد الاجتماعي، بل وشارك في صناعة مأساة أخرى، تمثلت في إقدامه على اغتصاب خطيئته سناء بشكل تراجمي يجسد من خلاله فصله التطبيقي لرسالته عن "الجنس والعنف"، مطلقا العنان لسوداوية الفكر المستورد الذي لم يثمر معه في زمانه ومكانه.

يتحكم المؤلف في مسار السرد باعتباره الراوي العليم فيجعل بطله يصرح هو الآخر بعلم النهاية المساوية لعلاقته بسناء، كان يدرك أن نهاية العلاقة ستكون مفعلة وأن فلسفته في الحياة لا مكان لها في هذا المجتمع، لذلك قرر الحياة بها في مناطق الظل رفقة ثلة من المثقفين الذين يتبنون إيديولوجيته ورؤيته للعالم، هذه الرؤيا هي في الأساس تعبير عن مجموع العواطف والأفكار التي تجمع جماعة ما، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية -وتجملهم على تضاد مع الجماعة الأخرى. فخليل وأنور جلال وشلته جماعة تحيا نهارها بعد غروب الشمس بعيدا عن المثلي، والأخلاق، والقيود التي لا تستسيغها بل تجعلها قناعا تلبسه نهارا تضمن من خلاله احترام المجتمع، وتأمين عبره سخطه، وتخلعه ليلا لتعيش حياة الشكر والعبرة، محاكية حياة الآخر الغربي في أدنى مستويات تحضره.

تصنع الرؤيا المساوية للعالم من خلف سوداويتها مأساة متبنيها، فحين يكون الوعي زائفا يستحيل تحقيقه أو أنه يحمل في طياته بذور كارثة حضارية لا تُتصور عواقبها. فالمجتمع العربي ومع كل مقوماته يعاني تصدعات وخللا جراء تآكل الأفراد عليها فما بالك بالغائها والعودة لحياة الغاب، لذلك نجد الفقيه يتخفى خلف الوعي الزائف للبطل وخلف مرضه النفسي ليرمز رؤياه التمردية للعالم، فإن كان المجتمع الليبي والعربي عموما قد يتغاضى عن جرأته في كتابة الطابو (الجنس) فإن التطاول على الدين والأخلاق يستفز حفيظة التقاد ويفسد متعة القارئ. لذلك تكون الرؤيا المساوية للفقيه عملة ذات وجهين، مأساوية حقيقية يولدها الرقص للواقع ووعيه القاتم، ومأساوية تنكزية يتخذها الروائي نهاية لأحداث الرواية التي أخذت مساحتها الكافية في نشر إيديولوجيتها وأفكارها وتلبس ثوب التدم والانهماز في نهاية المطاف.

يقرر بطل الثلاثية التعايش مع عاهة احتقار الذات بقية حياته " احتقار لنفسي وللنوع الإنساني الذي أنتسب إليه، وأرى أن هذا الشعور بالاحتقار يليق بي"²³ فخليل يعلن انهزامه أمام طوفان الذات بعد أن قضى داخله على كل القيم التي بنت إنسانيته، بعيدا عن كل الأضواء والمسؤوليات والمهات التي كان من المفروض أن يتقلدها المثقف العربي. ليكون حصيلة مواجهة حضارية غير متكافئة، هدمت الأصل وشوهت الروح. نهاية متوقعة لوعي زائف يعمل في الخفاء لفرض وجوده، هي نهاية رواية وليست نهاية فكر إنساني يتبناه الكثيرون.

2. الرواية التمردية:

يرى الناقد الليبي أحمد الشيلالي أن " الثلاثية أبرز رواية ليبية حتى الآن مثلت التمرد، والثورة على مواضعات المجتمع وموارثه"²⁴ لكون المجتمع الليبي مجتمعا محافظا يعلي قيمة الفضيلة والحياء، نجد الفقيه وبلغه جريئة يقتحم تخوم المحظور ويصور نزوات بطله بكل تفاصيلها عبر أجزاء الرواية الثلاثية، والتي كانت في غالبيتها علاقات محرمة شرعا لا تخرج من ورائها إلا انتصاره لوعي متمرد على الأعراف الاجتماعية ومنتصرا للتححرر الجنسي والعلاقات الآثمة بعد المطالبة بتحرر المرأة.

بدت لغة الرواية وعلى شعريتها لغة جريئة يكتب فيها الروائي أحداث ثلاثيته، وكأنه يحيا في عالم يصنع بداياته، مجتمع حجري لم يعرف الدين ولا القوانين إلا قوانين الرغبة وتطلعات الجسد، لغة لم تتوافق مضامينها إلا ومجتمعات الغرب في انغلاقها وتمرداها. فكان الرفض والاستنكار للضوابط والأعراف الاجتماعية والتنظيمات الدينية للحياة الاجتماعية لسان حال بطله. الذي حاول كسرهما وتطويعها منتصرا لميوله الغريزية ورغباته الجاحمة. هو التمرد والرفض والتجاوز لكل تنظيم يمنعه عن إقامة علاقة متحررة بالمرأة خارج كل التنظيمات الاجتماعية التي يرى فيه قيادا ورجعية وكبتا للحريات.

يمثل الوعي الممكن " باعتباره الحد الأعلى من التلاؤم الذي يمكن أن تدركه الجماعة بدون تغيير طبيعتها"²⁵ أول منافس للوعي القائم الذي يرتبط وجوده بماضي الجماعة البشرية، وما الضوابط الاجتماعية التي يستلزمها إلا شذرات لوعي ممكن سابق ترتب عن معطيات ومقدمات مختلفة تبنتها الجماعة البشرية لتلاؤمها والطموح الجمعي، وما التمرد إلا حالة طبيعية لصدام الوعي الممكن وسلطة الوعي القائم.

تتجاوز رؤيا خليل رفض السلطة الاجتماعية والدينية لكونها تقف أمام رغباته، بل يتعدى الأمر إلى الاستمتاع بذلك التمرد على القيم والأخلاق والفضائل التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات التي لها ميل غريزي فطري فهو يرى في علاقته بليندا إثارة كبرى لكونه تخطى عتبة المحظور "سر الإثارة في علاقتنا هو أنني استولي على امرأة رجل آخر واعتدي على حصته في النساء التي حددتها له الشرائع والأعراف والقوانين"²⁶، وكون المجتمع الغربي مجتمعا يعاني خلاا أخلاقيا تولد نتيجة الغلو في المطالبة في التحرر، والخروج عن الأطر الدينية والأخلاقية التي تحفظ نظامه، يجد البطل لفكره المريض مرتعا خصبا، ولا يجد فيما يفعله خجلا، ولا ينجر عن فعله تأنيب ضمير لكونه تملص من كل انتفاء لأصله ولثوابت مجتمعه وأعرافه، فالبطل يرى أن كل تدخل أو تقييد للعواطف هو ظلم وكبت لها. وعلى الإنسان أن يترك لنفسه حق اختيار رفيقة يجمع بينها الحب ولاشيء سواه، بعيدا عن أي التزام بالوفاء؛ لأن العلاقة بينهما تنتهي بانتهاء العاطفة المقدسة حسبه، فالبطل ومن خلفه السارد يجد أن تعاسة الرجال والنساء في مجتمعه ترجع إلى تلك الارتباطات، والقوالب الدينية، والاجتماعية التي تنظم علاقة الرجل بالمرأة ما جعله ينصر التمرد ويدعو إليه.

كان للتمرد على الدين الحظ الكبير إذ يرر الروائي على لسان البطل القسوة الكبيرة التي لقيها في صغره من مشايخ بلدته والتي كان يتعرض فيها للضرب بالعصي المقطوعة من أشجار الخنة حسب قوله "كيف استطيع أن اشرح لها ما عانيته من شقاء حتى تحررت من سطوة ذلك الشيخ الضير الذي كان يعلمني الدين بجامع الباشا ومن تعاليم الأب الذي كان يحمل سوطا ويرغم طفلا دون العاشرة على أن يقوم قبل الفجر ليتوضأ ويذهب للصلاة"²⁷، فالدين الإسلامي يحث الصبية على الصلاة في سن مبكرة حتى تألفها نفوسهم ويعتادوا على أدائها، والصلاة فرض عين وميثاق بين العبد وربّه، وما استنكار البطل نهوضه المبكر للوضوء وللصلاة إلا مفتاح تمرّد على كل الأوامر الإلهية.

يحاول خليل أن يبرر لساندرا سبب نفوره وتمرده على الدين، مرجعا سبب ذلك إلى الألم الذي تكبده في صغره رفقة أخيه بسبب قسوة والده الذي كان يمني نفسه أن يراه فقيها في الدين كجده. فكان يصر على ابنه أن يحفظ القرآن الكريم، وأن يتلقيا علوم الشريعة على أيدي شيوخ المساجد. كان أخوه يكبره سنا وقد حاول مرارا التهرب من قسوة التعليم وصرامته بغيابه عن حلقة الدرس والكتاب، ليقوم الأب بإعداد مشنقة وسط الغرفة بغيت إخافته وتحذيره من تهاونه في دراسته. ليقدّم الطفل على الهرب المنزل ويلتحق بصفوف الجيش فرارا من سلطة الأب وقسوته²⁸. يحاول الفقيه أن يحدد دوافع سخط البطل، ومن هم في شاكرته على المنظومة الدينية مرجعا السبب للعنف في تلقيه وهي تداعيات سرديّة قد تفسر على أنها أحداث عاشها الروائي وكانت سببا في رؤياه التمردية.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة الموسومة "التغريب الثقافي وأزمة الهوية في الرواية العربية المعاصرة (ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه أنموذجا)" ننهي إلى جملة من النتائج الآتي ذكرها :

- يمثل الأدب مرآة تعكس التحديات الثقافية التي تواجهها الأنا أمام الآخر وتحدياتها الكبرى لمدة الحضاري سعيًا للحفاظ على الذات.
- تعاني الأنا العربية من عقدة النقص ما يجعلها في حالة من الاضطراب بين السّير مع مد الآخر وجزر الحفاظ على الهوية العربية التي ضعفت روابطها لأسباب عديدة.
- تنبه الرواية أن الهوية العربية تدق ناقوس الخطر، وأتت بات لزاما أن نواكب التحضر بفكر جديد يبتكر طرقا حديثة لتعزيز الهوية والتمسك بالقيم الثقافية بما يتماشى وعلم الحداثة.
- الصراع بين الوعي القائم والوعي الممكن في ثلاثية الفقيه كان قائما على صراع الحضارة العربية والغربية، حيث تسعى كل حضارة للحفاظ على نفوذها وبسط هيمنتها على الأخرى.
- التغريب الثقافي أزمة تواجه الفكر العربي وتدعوه إلى التحرر المطلق.
- يستحيل على الإنسان أن يعيش الطمأنينة النفسية بعيدا عن كل سلطة دينية، أو أخلاقية، أو اجتماعية تضبط سلوكه وتضبط مجال حريته.

هوامش:

- ¹ - ينظر: زكي نجيب محمود (1951) المنطق الوضعي، مكتب الأنجلو- المصرية، القاهرة، ص 1
- ² - زكي ميلاد، تركي علي الربيع، (1998) الإسلام والغرب -الحاضر والمستقبل، د ط، دار الفكر، دمشق، ص 46.
- ³ - سلامة موسى، (2011) ما النهضة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص 79.
- ⁴ - أحمد إبراهيم الفقيه، (1991) ساهبك مدينة أخرى (ج1)، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، ص 40
- ⁵ - الرواية: ج1، ص 41
- ⁶ - جورج طرايشي، (1982) شرق وغرب، رجولة وأثوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، ط3، دار الطليعة، ص 14
- ⁷ - محمد الحسنواي: (1975) في الأدب والحضارة، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 37
- ⁸ - الرواية، ص 187
- ⁹ - الرواية، ص 12
- ¹⁰ - الرواية، ص 41
- ¹¹ - الرواية، ص 156
- ¹² - الرواية، ص 1
- ¹³ - الرواية، ص 32
- ¹⁴ - الرواية، ص 115
- ¹⁵ - عبد العزيز حمودة، (2001) المرايا المقعرة، (نحو نظرية نقدية عربية)، ط1، عالم المعرفة، العدد 272، الكويت، أغسطس، ص 21.
- ¹⁶ - حسنين حسن الحنفي، (2012)، الهوية، د ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص 25
- ¹⁷ - موسى بن إسماعيل الهوية الثقافية وخطر الاستلاب المزدوج في الفكر القومي العربي المعاصر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة باتنة، مجلد 19، عدد 39 ديسمبر، 2018، ص 282.
- ¹⁸ - جورج لوكتش: دراسات في الواقعية، تر: نايق بلوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، بيروت، لبنان، 1985، ص 61.
- ¹⁹ - الرواية، ص 8
- ²⁰ - الرواية، ص 107
- ²¹ - الرواية، ص 107
- ²² - الرواية، ص 8
- ²³ - الرواية، ص 253.
- ²⁴ - أحمد محمد محمد الشيلاني، (دت)، القضايا الاجتماعية في الرواية العربية (1961- 1995) دراسة في المضمون والرؤية والإيديولوجية. دار ومكتبة الشعب، مصراتة، ليبيا، ص 235.
- ²⁵ - لوسيان غولدمان، (1986) الوعي القائم والوعي الممكن، لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، لبنان، ص 37
- ²⁶ - الرواية، ص 30
- ²⁷ - الرواية، ص 166
- ²⁸ - الرواية، ص 166

قائمة المراجع:

(1) الكتب

- أحمد إبراهيم الفقيه، (1991) ساهبك مدينة أخرى (ج1)، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص.
- أحمد محمد محمد الشيلالي، (دت)، القضايا الاجتماعية في الرواية العربية (1961-1995) دراسة في المضمون والرؤية والإيديولوجية. دار ومكتبة الشعب، مصراتة، ليبيا.
- جورج طرابيشي، (1982) شرق وغرب، رجولة وأثوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، ط3، دار الطليعة.
- جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، تر: نايق بلوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، بيروت، لبنان، 1985.
- حسنين حسن الحنفي، (2012)، الهوية، دط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- زكي ميلاد، تركي علي الربيع، (1998) الإسلام والغرب -الحاضر والمستقبل، د ط، دار الفكر، دمشق.
- سلامة موسى، (2011) ما النهضة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.
- لوسيان غولدمان، (1986) الوعي القائم والوعي الممكن، لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، لبنان.
- محمد الحسنواي: (1975) في الأدب والحضارة، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ينظر أحمد رضا، معجم اللغة، ج4، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان
- ينظر: زكي نجيب محمود، 1951، المنطق الوضعي، مكتب الأنجلو- المصرية، القاهرة.

(2) المجلات

- عبد العزيز حمودة، (2001) المرايا المقعرة، (نحو نظرية نقدية عربية)، ط1، عالم المعرفة، العدد 272، الكويت، أغسطس، ص 21.
- موسى بن إسحاق، (2018)، الهوية الثقافية وخطر الاستلاب المزدوج في الفكر القومي العربي المعاصر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، مجلد 19، عدد 39 ديسمبر، ص282.